خوزيه ماريا اثنار وانبعاث الصليبية الجديدة

24-9-2004

إنه لا مصلحة للكاثوليك ومنهم الأسبان والفرنسيين والايطاليين والبرتغاليين وشعوب أمريكا اللاتينية في عداء العرب والمسلمين ولا مصلحة للمسلمين أيضا في خلق عداوات مع هذه الشعوب التي تتقاسم معنا إرثا ثقافيا عريقا وهي الأقرب لنا من حيث الجغرافيا والتاريخ، لذلك ينبغي علينا التعاون مع هذه الشعوب التي عبرت في غير مرة عن صداقتها للشعب الفلسطيني بشكل خاص والشعوب العربية بشكل عام، وحيث إنه لا يمكن أن يتحول النصارى

بقلم د . علاء أبو عامر

خوزيه ماريا أثنار هو رئيس وزراء إسبانيا السابق وزعيم الحزب الشعبي الذي خسر الانتخابات عقب التفجيرات التي حدثت في 11/5/2004، وهو أحد أضلاع قمة "الازور" التي تم فيها إعلان الحرب على العراق.

وجدير بالذكر أن حكومة آثنار دعمت الغزو الذي قادته الولايات المتحدة للعراق العام الماضي رغم أن استطلاعات الرأي أشارت لمعارضة الشعب الأسباني لذلك بنسبة 90%. وبعد سقوط الرجل الذي بقي يكذب على شعبه حتى آخر لحظة ناسباً التفجيرات الرهيبة إلى حركة ايتا الانفصالية الباسكية، ظل رغم كل ذلك وفياً لصداقته لزملائه أطراف "قمة لازور" الخائبين بوش وبلير، بل إنه تجاوزهما في العداء للعرب والمسلمين في تصريح له قبل أيام حين فجر موجة انتقادات عنيفة عندما شبه أعضاء تنظيم القاعدة بالعرب الذين حكموا أجزاء من أسبانيا خلال العصور الوسطى، حيث قال في محاضرة بجامعة جورج تاون الأمريكية إن "مشكلة أسبانيا مع تنظيم القاعدة والإرهاب الإسلامي لم تبدأ مع أزمة العراق"، وأضاف أثنار: "يجب أن نعود إلى الوراء لنبدأ من القرن الثامن الميلادي عند ما تعرضت أسبانيا للغزو من جانب المغاربة ورفضها أن تكون جزءا آخر من العالم الإسلامي وخاضت معركة طويلة لاستعادة هويتها". وهو بهذا يشير إلى تاريخ ماضي عندما طرد الأسبان العرب من شبه جزيرة أيبيريا التي كانت تحمل اسم الأندلس في سنوات الحكم العربي في القرن الخامس عشر الميلادي.

لا أريد أن أدخل في جدال مع اثنار حول مدى هشاشة مقارنته وعدم صدقيتها لا من حيث الوصف ولا من حيث المضمون، فقد فند أقواله عدد من الساسة الأسبان وافتتاحيات الصحف الاسبانية يوم الأربعاء الماضي:

صحيفة ألبايس الاسبانية قالت في افتتاحيتها: "إن الطريقة التي استخدمها رئيس الوزراء الاسباني السابق لتزييف التاريخ، والتذكير بالحروب الصليبية بين الإسلام والمسيحية، تكشف عن تشابه مخيف بين أثنار وبن لادن".

أما عضو مجلس النواب الاسباني عن الحزب الاشتراكي ترينداد خيمينث فقد وصف

تصريحات أثنار بأنها "محزنة". وكتب الصحفي خوان كروث قائلا: "إنهم يشفقون عليه". وأضاف أن رئيس الوزراء السابق استخدم "لغة سوقية" في جامعة، متهما أثنار بأنه يحاول تبرير تأييده للحرب ضد العراق والهجمات التي تعرضت لها قطارات مدريد بادعاء أن المسلمين يحاولون الانتقام لطردهم من أسبانيا منذ قرون.

ولكن بالتأكيد يجب أن نتوخى الحذر كعرب ومسلمين من مثل هذه الأقوال التي ينطق بها سياسيون أوربيون ورجال دين نصارى بمناسبة أو غير مناسبة فهي تنم عن حقد دفين وتمثل دعوات صريحة للتحريض على شن الحرب ضد بلاد العرب والمسلمين، وهي إذ تخرج من أشخاص ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية وليس من قبل البروتستنت الإنجيليين الصهاينة، فإنها تعبر عن روح الصليبية الجديدة التي يريدون لها أن تكون رديفاً للصهيونية اليهودية والبروتستنتية المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية ذات العقيدة المسيحية البروتستنتية، ولكن اللافت للانتباه أن اثنار شبه عرب الأندلس بالمحتلين وهذا ما أود الإجابة عليه وتفنيده من خلال سرد لبعض الحقائق التاريخية التي يجهلها العامة ويعرفها المتخصصون في التاريخ معرفة جيدة ولا نريد أن نسترشد هنا بمؤرخ عربي ليفند زعم أثنار، بل سندع المؤرخ الاسباني "اغناسيو أولاغي" يرد عليه، إذ جاء في مؤلفه "العرب لم يغزو الأندلس" قوله: "العرب لم يغزو الأندلس، وإنما دعاهم إليها بعض أهلها ... "، لقد كانت معظم مناطق شبه جزيرة أيبيريا مناطق سيطرة ونفوذ لأجداد العرب من الكنعانيين، حيث كانت معظم المستعمرات الفينيقية في شبه جزيرة أيبيريا تقع في ترشيش، وخاصة في المنطقة بين قرطجينة وقادش وهذه الأسماء الكنعانية للأماكن شائعة جداً ونراها على نقود بقيت حتى الآن واسم ترشيش الذي نصادفه في كتابات التوراة وأشور هو اسم كنعاني على الغالب بمعنى المنجم أو مكان الصهر وسميت قرطجينة باسم المدينة الأم قرطاجة في شمالي أفريقيا. ومدينة ملقة معنى اسمها بالكنعانية الدكان أو المعمل الصغير ويذكر سترابو مكاناً لتمليح الأسماك في هذه المدينة وهو أمر يدل على ما كانوا يصنعونه هناك، مدينة قادش كانت أيضاً معروفة بإنتاج الملح، وكانت قرطبة بالأصل مدينة أيبيرية استولى عليها الكنعانيون وأقدم نقودها تحمل حروفاً كنعانية، وقد جمع منها هميلقار برقة والد هاني بعل كما جمع من سائر المدن الاسبانية جيوشاً لأجل حملته ضد رومة. وربما كان اسم برشلونة الواقعة إلى الشمال متصلا بكلمة براق الكنعانية التي نراها كلقب بجانب اسم والد هاني بعل وهكذا تأسس بواسطة هذه المستعمرات موطن ثان للحضارة الكنعانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط".

لقد كان حال شبه جزيرة إيبيريا كحال بلاد الشام ومصر وتونس والمغرب، كانت بلادا يقطنها عرب كنعانيون وكانت تخضع جميعها للاحتلال الأجنبي، فلم يمض قرن أو أكثر على استقرار حكم القوط لشبه الجزيرة حتى كان العرب المسلمون يقفون على الشاطئ الأفريقي لمضيق جبل طارق، ولنا أن نتصور مقدار حماسة المجتمعات الإيبرية لعبور أبناء عمومتهم المضيق إليهم ومساعدتهم في التحرّر من حكم القوط. وبالفعل، حدث ذلك بتفاهم مسبق بين أبناء العمومة، فعبر آلاف الجنود العرب المضيق، واشتبكوا مع النظام الحاكم، ودحروه بمشاركة أهالي البلاد كتفاً بكتف، ليتحقق بذلك الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبرية من دون جيوش جرارة ولا معارك ضخمة.

نظر سكان هذه البلاد إلى العرب المسلمين كفاتحين، وهذه الحقيقة هي وحدها التي تفسر سقوط كل هذه البلاد بيد العرب المسلمين دون قتال يذكر وفي زمن قياسي أثار استغراب معظم الباحثين في الحضارة العربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي.
وقد بنا عرب الأندلس مع إخوانهم الكنعانيين من أبناء البلاد الأصليين حضارةً راقية قامت على التسامح الديني عاش في كنفها اليهود والنصارى مع المسلمين دون أن يجبرهم أحد على ترك دينهم واعتناق الإسلام وما زال يعتز بتلك الحضارة كل الأسبان وعلى رأسهم الملك خوان كارلوس، وقد كانت المصدر الأساسي لتطور الحضارة الغربية باعتراف العديد من المؤرخين الأسبان والأوروبيين من المنصفين .
ولكن الحقيقة التي لا يريد أن يذكرها أثنار أن ما حصل كان العكس فبعد سقوط الأندلس العربية نكلت محاكم التفتيش بالمسلمين واليهود وأجبرتهم تحت التعذيب على تغيير ديانتهم وأسمائهم العربية بأسماء لاتينية ومن رفض منهم الانصياع قتل، وقد عرف هؤلاء العرب فيما بعد باسم المورسكيين حيث منعوا من استخدام اللغة العربية فيما بينهم وحرم عليهم الطهارة والاستحمام وأجبروهم على ترك أبواب بيوتهم مفتوحة في أيام أعياد الأضحى ورمضان لمراقبة ما يجري في بيوتهم والحيلولة دون أداء الصلاة ..وحرم عليهم ذبح الأنعام وأجبرت النساء العربيات على كشف وجوههن حينما يسرن في الشارع .
وتتعارض تعليقات أثنار تماما مع مواقف رئيس الوزراء الاسباني الحالي خوسيه لويس رودرجيث ثاباتيرو المنحدر من "بلد الوليد" الذي اقترح "تحالف الحضارات" بين الغرب والعالم الإسلامي خلال كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في اليوم نفسه الذي أدلى فيه أثنار بتعليقاته .
باعتقادنا إنه لا مصلحة للكاثوليك ومنهم الأسبان والفرنسيين والايطاليين والبرتغاليين وشعوب أمريكا اللاتينية في عداء العرب والمسلمين ولا مصلحة للمسلمين أيضا في خلق عداوات مع هذه الشعوب التي تتقاسم معنا إرثا ثقافيا عريقا وهي الأقرب لنا من حيث الجغرافيا والتاريخ، لذلك ينبغي علينا التعاون مع هذه الشعوب التي عبرت في غير مرة عن صداقتها للشعب الفلسطيني بشكل خاص والشعوب العربية بشكل عام، وحيث إنه لا يمكن أن يتحول النصارى الكاثوليك إلى صهاينة كون ذلك يتناقض مع عقيدتهم بالأساس، فإن خطر انبعاث الصليبية من جديد يبقى قائماً في كل وقت، لذلك علينا الحذر وعدم توسيع جبهة الأعداء فيكفينا اليوم صراعنا مع الصهاينة بشقيهم البروتستنتي واليهودي، ولا داعي لاستثارة أطراف ممكن أن تكون معنا لا علينا أو على الأقل تبقى على الحياد .... أما أثنار فقد كان خائباً وسيبقى كذلك مهما قال أو فعل، فكلامه ليس سوى هراء لرجل فقد اتزانه بعد أن فقد الاحترام في أوساط شعبه....